جذاميات

قصائد البؤس السوري

محمد زعل السلوم

2022

دار الجولان

16 ساعة في اليوم

من أرضِ أجنادينَ هلّت بشائرهم
بنو الجّيادِ والأرماح والشُّهبِ
وجيش الجشع الصناعي رافقهم
في لعنة الأقدار
ذوي البخل ولا الجودُ
فلم يعظهم دمار أرزاقهم
ولم يردعهم ضميرٌ ولا حياضٌ ولا سياط
ملعونةٌ بواديهم حتى نواهيهم
فلا خير فيهم ولا سخاء
لصوص الموت تجار الحياة
وقد استكبروا على شبابٍ يانعين كالأزهار
ومن عبث الدنيا على المستضعفين فئراننا العُميان
كلّ خُلدٍ من تجارنا يغريه رائحة البصل والكُرّاث
خرجوا من جحورهم ليصطادوا الدنيا
زادهم الله مرضاً

وعُمالنا خرجوا من الموت للموت

ولم تُخمد نيران أوطانهم ولا دمع اليتامى

وقد فقدوا الزّند إلا زنودهم

وأرضعتهم الدنيا هديرَ التجهُّم

فكانوا كالرّشا تتقلد الياقوت والزبرجدِ

كرامة الحب العذبة في قلوبهم الزهرية

تتحرى الحياة كالياسمين أول الربيع

هؤلاء رجالنا حين كانوا وحين رحلوا

يهزّون الأرض بسواعدهم

يقتحمون المنايا نسور الأرض

سلمت أيديكم يا أملنا

فمن براثن البطش والقسوة

تزرعون خيولكم أصقاع الدنيا

حصاد

تتهادى الجميلة متبخترة بردائها

تلفّني في طيفها الناعس يا نُعاس

تتلقّفني لغتها الحارّة حرارة آب

وأنا المتوقّد إلى جمر الحُبّ

يمرّ بي موكب الاحتفال بأناقته الفظيعة

ولغة الغناء البشري البهيج

أسرحُ في يقظتي المسافرة

إلى زمنها الورديّ المقدّس

أتقدّمُ إليها مثل حبّة العنب الناضجة

ألوكُ حائطي وأبصقهُ بلا عودة

أرى البحر وصدري يتفتّحُ بأنفاسه

الحصى يتراقص تحت أقدامي الشاطئية

وذراعاي يعانقان موج الرياح

وأنا السفينة البخارية على نهر

أهيمُ في عشقي الفراتي الغامر

الطميُ يجتاحني مثل ينابيع الشقاء

وهياكل العلامات يا طريق

وأنا نبع الأردن يا جبل الشيخ

أسقي الأرض والانسان مترقرقاً

لأشقّ شهية نافذتي المعذورة

ويتحرّى جسدي أنامل الهوى يا أيام

دمشق

7 حزيران 2014

مُخضرم

أشربُ العرقسوس في شهره الرمضاني

أتلذّذ بطعمه الترابي

أشعر بانتمائي المُخضرم إليه

أعبر طريقي في بوابة الزمن

أستعيدُ أسلافي وروحي لأثبتها في الفؤاد

أروي نزوعي للحب وصورتي المختلطة

أزيح ستارة الغبش عن ذاتي الصريحة

واستبدّ في نصاعة العشق الأنيق

أتجوّلُ في حواري حبيبتي وكأنها لوحة

عتيقة تعودُ بي للمواجهة

اتجبّر على انكساراتي لأبدو كالساتان الناعم

والصوفيّ المتبطّر الأنيق

أختار جواهري وملامحَ حروفي

أتفرّسُ موهبتي أتفحّصُ أناي

أُترجِمُ طوافي حول كلماتي

والحبّ يسقيني جداول الأحلام

يعرّيني ويكسيني جدائل النرجس

يصنّف أهزوجتي وأنشودتي

ويصنّفني كطفلً عابث

الحُبّ يكللني أعراس دهري

لأتماهى شيئاً فشيئاً

متشبّثاً بخصرِ حبيبتي

أقودها صاعداً بها إلى النور والضياء

دمشق

7 حزيران 2014

عنقاء الرماد

وأعرف أنّي أكتبُ شعري

وأعرف أنّي أحرّكُ قلمي

لأتوقَ لروحِ مَن أحبّ

وأوزّع براءتي العاشقة

وغرامي والنسيم

وهوى أخشابي وغابة أقمشتي

في ضياءِ منبت الحُبّ

وسارية أعلامي تَصْفُقُها الريح

ودلعها المنضوي في أكناف الحياة

وأنا الطائر المُنفردَ الذراعين

ليلتمع في عدستي الحيّة زجاج امرأة

ولينبض قلبها الشغف في قلبي

وتعرجات وذبذبات الكون فينا

وإرسالياتي وبشائر النجاة

وأنا الهلال ينقضي ليلة بدر

وأنا التربة العطشى لارتواء

وأنا السنبلة المنحنيةِ بتواضع

أترقبُ أناملها ترفعني

لأنظرها مثلَ وردةٍ تفتّحت

أمام هول شمس

في صاعقة الحبّ الزمنية

والتي لا تستكين

مثل عنقاء الرماد

دمشق - جديدة عرطوز

17 تموز 2014

مزرعتنا السعيدة

يُصعّرُ خدّهُ للبلاط

يتمسّح في أرضية القصور

يتشمّمُ أحذية السلاطين

يبحثُ عن الزّفَر الآدمي الخائب

خيبةَ النواميس الموضوعة

على قلبِ الصخرة يا رماد

يتكاسلُ إلى الحياة

يتهافتُ للذلّ.. يا عبودية

يحمل لافتة المفوهين الأشاوس

يدقُّ على صدره الطرزاني الفارغ

يُهرهِرُ كلماته الخُنفشارية

يضيقُ صدرَه بالمرارة الهدّارة

يعومُ فوق سلّة المُهملات

ليبدو إلى شاشة النفاق الهزلية

ليملأ مقاعد المتفرجين جميعها

ويشغلُ زاويةً من زوايا المغيبين

يهرجُ في كلّ المناسبات

على إيقاع الهزار الكوميديّ

في تراجيديا الرعايا التي..

تقتاتُ العشبَ من أرض..

مزرعتنا السعيدة

دمشق-جديدة عرطوز

17 تموز 2014

كينونة الرجاء

زمرة دمع أسطورية
يتدرّنَ القبحَ عن فم المغول
ويتسمّر البؤس على شاشة
تنقلبُ الزوابعُ على ظهرها
وتتسرّب غازات القهر وسمومها
في عالم الثكالى والأشرار
تهزأ عاصفة البرق من عسرها
ويصيح الديك في فجر الثلوج
ليوقظَ الجمادَ البشريّ المريض
تعافُ الأرض جنياتها
وتبتلع التراب الذي لفظته من قبل
تستشري آفة الدوابّ في المواخير
والعيش المحمول على نعش الدجالين
تهوي طبول الطنابر المبعوجة
وتسلك سلوك الهراوات الغبيّة

في لوحةٍ سريالية لا يمكن تفسيرها
عبث الضحكات والآهات والدنيا
تفتكُ الوحوش بوحوشها
لتزرع انكماشات الجراد
تحترق الصحارى في وطأة رملها
وتهيم الريح بغبارها لتغطي الشمس
وداخل الخيمة يتقنّعُ انسان العصر
ليصمتَ في...
كينونة الرجاء

دمشق-جديدة عرطوز

17 تموز 2014

على صفحةٍ بيضاء

أمام ضوء الليد وبقلمي الأحمر
وعلى صفحةٍ بيضاء
أبحث عن كلمة
عن فتحٍ جديدٍ في قاموسِ أحلامي
عن صندوق خواتمي العاجيّة
وعطرَ ذكرياتي المنسيّة
أفتش في أمسيتي عن حرف
وبثور زمني الآسرِ لحنيني
أتلوّى في قريحتي المبقورة
لتنسكبَ دماءَ كوابيس شِعري
وتتدثّر في أوعية وشرايين الورق
أتبصّرُ لمستقبل حبيبة
وأعودُ لألمٍ قديمٍ ومزمن
أعودُ لابتسامةٍ ضاعت
لشفتين مثل حبّة الفراولة

ذهبت أدراج النور

صبيحةَ كلّ شمس

أطالعُ قمري العملاق هذي الليلة

في لونه البرتقالي الحزين

وكأنّ حرارة الصيف خنقته

فلم يعُد يُفصحُ لي عن كلمات

ولم يعُد يحدّثني عن جمال الأرض

والحسناوات..

بل بقي متأفّفاً من جوّهِ الخانق

هذي الأيام

دمشق-جديدة عرطوز

17 تموز 2014

في عناقنا السّندسيّ

في عناقنا السندسي

في عناقنا السرمديّ

يُجدّد الحبّ فينا طريق الحياة

وعلى صهوة الليل أشدو

لترحلَ إلينا أمواج الزمن

سأقفُ كالسدّ في وجه الطوفان

فلأني أحبّك..

أحبّك

أحبّك

في أحضان وحشيتك الخالدة

فليس في القلب غير شخصكِ شخصي

وليلكِ عينيكِ يلتهمُ نظراتي

ومدامعي تعلو نهداكِ

همسكِ همسَ ثغر الندى

وقلبي المتلظّي لاهفاً إليكِ

في عناقنا السندسي

أمام رأفتكِ بي

وانغماسكِ بين أضلُعي

لأتنفّسَ كلماتك

وعطرَ حبّك

وشفتيكِ الخرافيّتين

لأبلُغَ حدود دفئكِ الحميميّ

في عناقنا السندسي

وخصوبة الأفكار العاتية

لتبسطي سيادتكِ على صدري

وخصلات شَعرَكِ حديقة خلجاني

وأنا العشيقُ مجنون الهوى

وغرامِكِ اللاهبِ في الخلجات

ويباس الغيرةِ في سلواكِ

فسحرتِني...

وملكتِني...

لأهديكِ قلبي

وتهديني قلبِك

في عناقنا السندسي

وفي كنفكِ وحضنِك

ونقاءَ الروح الأبدية

لأهوي منتشياً غارقاً في عبقك

في عناقنا السندسي

والقمرُ جارنا

والحبٌّ لوعتنا

وقلوبنا تذوب

في عناقنا السندسي

ونداءات الجسد الحيّ

وشهوة الجمال

وصبابة الغِوى

لأني أحبّك

أحبّكِ

أحبّك

أميرة قلبي

وأنا المتشوّق لبخور صدرك

متحطّماً في بلاطكِ الملكيّ

أنا الغاوي للمساتِ شَعرَكِ وهدهداتك

حوريتي العارية

وأنا العاري أمام رعشات مرآتك

يا وردة القمح البلديّ

وفمك يصبو فوق شفتي

لأتذوق نبيذَ سحرك

وأنّات الهوى

في عناقنا السندسي

لأني أحبك

أحبك

أحبك

أنا أحيا

أحلامي المجوسية تقطر خرافاتها

تتدلى خلف طرودي البريدية

بلا عنوان ولا هوة أعرف الوقوف عليها

لا تعلم أيّ تلك الهواجس الغريبة التي تطن كالنحل في أذناي يمكنها أن تصبح حقيقية

هناك أنا أحيا لا هنا التي أطمرُ فيها فراشاتي المضيئة

والتي تحترق مع إطلالة الصبح الحزين

الكئيب بلا حظ ولا وجود ولا حتى امنية

أنا أحيا

لأن الأقدار تختار أقدارها فتتزاوج وتتمازج لتتجب الاطياف البشرية

أنا أحيا

لأن الزمن لحظاتنا التي في مكانها تراوح

المظاهرة من الباستيل للباستيل

وتلك الخيول الدوارة في مدينة الملاهي الكونية

أنا أحيا

فالحبُّ عندي نضب وجف العمر والكلام

أنا أحيا

لأني أقف أعلى منارة فلا أرى من البحر إلا الموج القاتم والسفن الضالة في سلطان

أنا أحيا

لأني بلا غرق وبلا حدود وبلا إنسان

وبيسان تنسج النجوم

تحتفي مكتبة حروفي باسمك
لأنكِ الحقيقة الوحيدة المؤكدة
على طرقات الأمل
لتحظى مقبرتي بإكسير الحياة
يا من تدخلين عالمي
لتنطلقي نحو الكون العظيم
أنتِ يا من تنسجين النجوم
غريبٌ عنهم .. تلك النوارس المحلّقة
غريبٌ عليهم
وبيسان تنسجُ النجوم
النفس تبتهج هانئة
كالانبلاج المتجدّد لأبعد الحدود
وآفاق الحقول الخضراء في قلبي
تسبح تحت جسوري العتيقة
تهيمُ في تكوين سمائي العاشقة

لتنطلقَ رحلة العيد

وبيسان تنسج النجوم

شوراعِ روحي قبلكِ خاوية

وبعدكِ تبدّل زماني الكامن

في باطن مُستقبلي

لتشرقَ شمسكِ في ربيعي المُقفر

وكأنّ الخيالَ انتزعني غصباً

نحوَ حركةِ الطيران

وبيسان تنسج النجوم

كانت الأحلام تدور حولي

وتلفعني كوابيس المفردات

رغم مشاعر الزهو الكاذبة

لتبدأ أغنيتكِ الملحمية

المحفورة على صخري المرمريّ

أنا المضمحلُّ في شفاهيتي ومجهولي

أنا المنسوخُ عن أنشودة الإنصات

أنا الغريقُ في قسوة العالم

وحزني الكبير يُدميني دون شفقة

فيما تجلياتَكِ كانبلاج الفجر

والولادة الجديدة وإكسير الخلود

كأنّ شيئاً تمخّض عن جنّة الحب والشهوة

وجذوة بنيان النور المعلّقة

كالفانوس على جبهة الشمس

وبيسان تنسج النجوم

أنتِ يا غادة الأرض

ذخيرة الهوى

ومغاني العذارى

وأُلفة الصفاء

يا قوة الجمال

وبيسان تنسج النجوم

أنتِ يا براقة الشروق

في لوعة التدوين المعصومة

وبيسان تنسج النجوم

أنتِ الموهبة القَدَريّة

القائمةِ على مذبح الطُّهر

وجوهرة الفنّ الأثير

وبيسان تنسج النجوم

أنتِ المودة المنغمسة بالحماس

أنتِ طوفان الورود المتدفّقة في نهر

كذكريات عالمٍ لا يزول

وبيسان تنسج النجوم

أنتِ يا صوت الحريّة لا تغيب

عنكِ السعادة ولن تغيب

أنتِ يا أبوابَ النوافذ والقلوب

وبيسان تنسج النجوم

لأنـها النور

سألتني نور مقالتها

فارتدت مقالتي عباءة القصيد

وأدوات تعبيري النثرية والخواطر والشعر

ففي عهدِ النور نور

لم أتقيّد يوماً بظلّي ولا نوري

لونتُ يومياتي بألواني المُختارة

أمام نورِ لغتها البصريّة

وخطوطها الحواريّة

المباشرة والذكية

لتصبح اندفاعةً لخربشاتي وبداياتي الملونة

وكأنها الثروة الناضجة

لتلوّن قصيدتي مع شكواها

فلونٌ دافئٌ في حقول الأحمر والبرتقالي

ولونٌ صاخب البرودة الرامح في الأزرق والأخضر

لكن لونك يا نور.. المفعم بالإحساس والحركة

كقطعة قماشٍ بيضاء

لا تلبس أقنعة الثلج معها

ولا تروج لأفكارك الثورية في حضرتها

ولا تمثل قصائدك العاطفية الجياشة

ولا خيالك ولا حكاياتك الخرافية

ولا حتى أساطيركِ وأغنياتكِ المفضلة

لأنك ستقفين حينها.. ومن أمامها

لتكوني ذاك الضوء الخافت

أمام سطوع حكاياتها

لأنها النور

من تضيء القلب اليائس

وتجعله زهرة مقبلة على الربيع

تفيض بالجمال وريشتها اليانعة

تلتقط عدستكِ منارة لوحتها

تسافرُ لمشارف أفكارها

لتفسح المجال في اكتشاف ذاتها

عبر مفاهيم التواصل اللازوردي
وحتى لو تآزر وضوحك بانتمائك
وتآخى صدقك بادّعائك
وتفاهمت ضبابيتكِ بصراحتك
وتجادلت فكاهتكِ بعبوسك
وتزاحمت تقلباتكِ بمزاجيتك
فلن تجد صبيّةٍ تصرعُ تلونك مثلها
لأنها النور
فلا مؤثراتكِ المرئية
ولا مؤثراتكِ الصوتية
ولا حتى إخراجك الفنيّ
ولا اختبائك في غرفة ذاتكِ السريّة
ولا خنادق مدينتك البالية
ولا تابوت قيدكِ المغطى بلحدك
ولا عواصفك الرملية
ولا قصورك الشاطئية التي يبتلعها كل مد

ستغطيكِ أمام نورها

لأنها النور

الساطع على صحرائكِ المُجرّدة

وهي المُتربعة على عرشِ مملكتها

حيث هناك ولأبعد مدى

تفعلُ فعلها السحريّ

لأن استعراضاتك أو فرارك إليها

لن يكون إلا مكشوفاً

أمام روعة أفقها

لأنها ...

النور والنوّار

أقدمين

أُقلّدُ الأقدمينَ في لُغتهم
فأنحدِر في جهل التكديس
أرنو لهاويةٍ تبتلعُ الجُّهلاء
في برهةٍ من الزمن
تختفي الحروف
أنظُمُ قصائدي
في رصفي وطواعيتي
الحبّ يفني لغتي البيانيّة
المتلعثمة المفردات
المتشققة الصور في زمن الإنهاك
ألواني الفرديّة تقترفُ جريمة الخرف
على صوتِ أجراسكَ يا وطني
تتزعزع رائحتي الترابيّة
تجتاحني صدمة الإنكار المحرجة
أهربُ لطوكيو

استبدلُ صورها البهية

لتهيمن على عقلي ذو النزعة الجمالية

ارتعدُ من وحشة الخراب

وهيمنة الوحشية في أيامي

اختبئ في

ظلال الحضارات الخرافية

أرفض عالمي

جملةً وتفصيلاً

انسحبُ لمظلّة الحياة

لأتعايشَ مع

طغيانِ الموتِ المقيت

فيكَ

يا وطني الشريد

دمشق - جديدة عرطوز

الاثنين 2-حزيران-2014

قناعة

اقتنعُ بالحياة..

بين طيّاتِ الظلام

أرسمُ الوهم الخرافي

في خطوطي المتباينة

أتبضّع الماء

في ينابيع طقوسي

أنفُرُ منزاحاً إلى اختزال

أكتب التاريخ..

في عُمق العقائد

أنسجم مع ذاتي...

الجريئة الترابط

أنفُضُ عني وطأة البارحة

لأجدني غارقاً..

في عالم اللامعقول

ويحولني فكري غيمةٍ باردة

تهطلني قطراتٍ ..

من جمرٍ ونار

أتصبّبني العرق الغباري

بلا حَبكة

في نقيصةِ شوارع الشام

وتميمة أوساكا يوكوهاما

تزلّ خزائني

تستفرغُ في مائها الآسن

تستدرٌ أقدامي

المتناثرة الأطراف

وعطف الحضارة المادية الزائلة

تتزلزل شموسنا

الأحد عشرية شهر

وتتهلهل متضعضعةً

في ألمها

وقلبي غيرَ المُحصّن

المتمترسِ في إنسانيّته الموجعة

وعواطفه المتحدّرة

عن لغة العفاريت

دمشق-جديدة عرطوز

الاثنين 2 حزيران 2014

فيسبوك

يُراجع أرشيف رسائله

يحذف بعضها

ويردّ على الآخر

يستمتعُ بالغناء

في حَلَبة الكون

يتعلم ..

يجادل ..

يطبّق ..

يعيش عادات الولاء لمجتمعه

والانتماء لعالمه الافتراضيّ

ينتعش من لمسات الإعجاب

يردّ على التعليقات

يكتُبُ الملاحظات

خاليةً أيّامُهُ في فراغ الزمن

يشعُرُ بالنموّ والبلوغ

بعد مراهقات التخاطب الجدليّ

تنضح أحكامه في مخاضة الأيام

الغرام يقتل لحظاته

ماضياً إلى العشق والهوى

حدّ الإنهاك

عجالة الغرباء

تتمترسُ في قلبه

قبل الميلاد

وبعدَ الميلاد

على خطّ شيبويا.. باب الجابية

دمشق-جديدة عرطوز

الاثنين 2 حزيران 2014

طواف

يَؤُمُّ مَصْلَ الحقيقة في الحُبّ
يَؤُمُّ شرفةَ مقدّسِه القلبيّ
ووجدانه رغمَ غبشِ عينيه
يتذرّعُ برسالةٍ وصورةٍ يرسلها
عبر الواتساب والفايبر
في لمسةِ الخُرافات المنسيّة
هناك.. في مُعتَرَكِ أحلامِه
وكوابيس عافيتِه وغيرتِه
يترقّبُ خلاياه المُخَلّقة
في زوبعة الغرام التي لا تتوقف
يغلي ويفور غير رشيد
متى الردُّ لأطمئنّ؟!!
أين هي تلك البعيدة الغائبة عن عينيّ؟!!
يلتهمهُ وحشُ الانتظار
هل يُقدمُ على خطوةٍ غبية؟!!

كأن يتّصل على هاتف عائلتها الأرضيّ
ليثير الغبارَ وعاصفةِ الجنونِ حولَها
فيورّطها بسلوكه الغير مسؤول
تردُّ عليه أخيراً
يعودُ الدّم لعروقه
يجري عذباً كالسلسبيل
يستردُّ ماء وجهِه لِسماعِ صوتِها
بعد استسقاء روحِها
وقلبها...
وهذا الولع المريض

دمشق-جديدة عرطوز
2-حزيران-2014

عربتي النرجسية

لا يمكن للقدر
أن يشتري الصور
أوقفوا هذا...
إنها خدعة؟!!
كان القلب ثلج
فجأة...
بات يتدحرج كالجمر
وعيون البحر الساطعة
ترتمي حمراء
في سافِلِ نيران القِدْر
تغلي عوسجة الحياة
لابدّ من تحويرٍ لهذا
الصبر اللهمّ الصبر
وعلى دبابةٍ مشرئبة
تزحف على جدران القبر

لتكتوي نيران الصدر

أوقفوا هذا...

إنها خدعة؟!!

أين آيات الفَخَار

أين مشاعل النصر

دوّت عجلات عربتي النرجسية

وانفجرت من شدة القهر

فكم بنيت من عروش الشمس

تحت ياسمينتي البيضاء

ورائحتها الزكية المطهرة

وحززَتُ أكتافي

ودفعت بسواعدي السُّمر

أسابيع وسنوات العزّ الجاهلية

تنهار الرمال تحت أقدامي

لتغيب الأوابد

ويغيب القصر

هل كنت أحمقاً؟!!

هل كنت مخدوعاً؟!!

مغفّلاً...

مليئاً بالأوهام

مستعصياً على الفهم...

على الفكر..

جِد لي طريقي

إخفِ لي دمعتي

وادفنها في حِجر

علّ انكسار قلبي

يوازي دفن وطني

المدفونِ أصلاً..

في قبر

غير آبِه

رجماً بالعنب

تأتي ساعة الخِوار

لكن هذه المرة

دون سبورة

دون لوح

تاركاً خلف ظهري

أعباء الحَوّار وغبار الطباشير

تعترف أوتار لساني

لموسيقى الأوتار وأزيزها

لكن ... هذه المرة

دون تفكيرٍ ولا ملامح إدبار

غير آبهٍ

بعنصريتي الساذجة تجاه الأغيار

تسترخي شفتي

بعد مشادّة يملؤها الطين والغبار

مولعاً مغروراً بماضٍ وهميّ

مستسلماً لحاضرٍ مُتَفرّس

مُسلّماً لمستقبلٍ غامضٍ

مثمراً نعرة الإصرار

سافراً نحو العدم

فلا تجارتي تُرضي كسادي

ولا سِفري يقنع الأشرار

لأطمر الأحجار فوقها الأحجار

صدري يملؤه الحماس

القانعِ بشهادة النوارس

وانتفاضات الثوار

على التجار والفُجار

بتّ جمراً مشتعلاً

مثل يوم القيامة

أحترقُ شمعةً

أحترقُ أشجار

الحلم المنثور

ماذا هناك؟

قالوا وطن؟!!

تتزاحمه الثعابين على أوراق العنب

في حلمي المنثور الغارق في الغياب

يعضّ الكلب الطفل الذي رماه بالحجارة

قرب مزرعة الغيلان البائسة

حيث تثمر الأشجار على مياهٍ آسنة

قرب خرابة يتناكح فيها الغلمان

جرفتها البلدية لتدفن الإغواء

وإلى جانبها مدرسة؟!!

تطلّ بنوافذها على المدى

على عصارة السماء وجبل الشيخ

أين فان غوخ ليرسم سماءنا

على صفائها وغيماتها البريئات

وجحيم دواماتها وأمواجها العاتية

سماءنا يا مطر البراميل والأحقاد

وشجر الزيتون يهمي وجعاً

الخوف لا يجامل الصدور الغاضبة

وعسل الجبال لا يروي ظمأ الدماء

لا شفاء

لا شفاء منك يا وطن

لا شفاء

وقد غابت عنك طيورك المحلقة

وملأ الجو غرباننا الدهماء

وجياد سورية اليوم هاربة

فهل سيبقى بعدنا إلا الرثاء؟

لَن أُشفى

في كهف الموتى وقبر المغدورين
تتجلّى عاصفة الطهر وجلال الله
وفي ضيق الصمت الباتع المهيب
تتحرّى الأشباح نبيذها بعد الزوال
وشعبنا كليم الجدران والخيبات
فلا حياة لأغصاننا البائسة
ولا منمنمات جذوعنا المتجذرة في التراب
يمكنها أن تخاطبنا في حضرة الجفاف
وهذا القفار المنسدل على شرفة الأجداث
لتنبعث بقايا عظامنا المجردة من لحوم الجناة
معلّقة على أشهاد الرماح كالأعلام
وعيوننا الغائرة ورأسنا المعلّق ينحني في رثاء
في آية القتل وآلة السحق اللعينة
أنفاسنا توقفت في زفراتها المودّعة
تبكي الأرض فراقنا

تشتاق الأم قرع بابها المخلّع

وقد هجرها الأحبة

في بيوتنا المقفرة بلا حياة

فكيف لأمٍّ قد ودعت أطفالها

ألّا يضيق عمرها في غرق الجفاء

في جزيرة النّعاس

تمثُلُ الأرملة أمام المحكمة

ينظر القضاة في قضيتها ويستمعون للشهود

التهمة الإيقاع بين زوجها وعشيقها؟!!

الجنرالات شهود

فلم تعد الحياة على طبيعتها

وقد احتفل العالم بأليافه الزجاجية

وبين البيع والإيجار

تنهار أسعار المقدسات

أمام مداعبات الوطن البريئة

في هذا الزمن المراهق

تستدر المتهمة الدموع من المآقي

وبهائم المكاتب العقارية تتورط بتفاخر

الأغنام تنتظر الحكم في الخارج

في جزيرة النعاس

أنت ترى؟!...

يهرع الشاعر المراهق للمدينة الكبيرة
يهرع المصور المبتدئ لقنوات الغلمان
وأنا أغتسل بضوء ينثال عليَّ من كل مكان
وقبل أن أفتح فمي العابق بأصوات الأولين والمقبلين
تنبعث أشعة الشمس التي انتظرتني
واختزنت عبقها المطل على الأرض لتلك اللحظة
الراهب المزيف يخط بانامله المنتنة أقلام حبر وهمي
لأصيح بأعلى صوتي ... أنت ترى؟!
يمتقع المارة وهم يصوبون أنظارهم سهاماً لقلبي
يلاحقونني بنظرهم الفضولي
وأنا أحاذيهم بطرقاتهم وأضغط على أكتافهم
وقد بلغ الحزن أشده
مندفعا لحدائقي المسورة
ومنزلي البعيد البعيد
وقد ودعت آخر ضيوفي عند مطلع فجر مضى

بعد صياح الديك وليل السَّمر

وقد أضحت مليكتي نائمة

تنهل الظل من أفق الشناشيل

أتمدد على سريري أنصتُ لهدأة أنفاسها

تجري نقية هانئة

بعد رياح عصفتها السجائر والأقنعة

القبر السوري

تلك التراتيل المثخنة بعبق الموت
وأجراس القهر المجلجلة
ولغة قديمة لا نفهمها ولا نستأنسها
تلك الجثث المحترقة
وصور قيصر...
وحفرة الموت يا حفرة التضامن
تلك الأوطان المقابر
الموت السوري لا يختبئ
ليلتقط فرانكشتاين العزرائيلي بقايا الأبدان
حتى الصقور المحلقة يتبعها هادم اللذات
في بلاد السواد واللطم ومجالس العزاء الحسيني
تتفاخر الثعالب وتتلوى بكلماتها المرعبة
أن أعيدوا اللاجئين
فالوأد السوري لم ينته
لم تنته فصول الجمر لم ينته الحقل من ابتلاع المزيد

فهل من مزيد؟!...

الحفّار يلهث ببراميله

والطرابيش تجامل المقبرة

أي عاهرة تتراقص في عقول الذئاب

تنهش المائدة

اللحم يسيح والماء يُغرِق الرماد

السارين يسعل معتذراً من همهمات الأطفال

طاعون الشام دفّان المدن القديمة

يجهر الفرعون زفير السكرات

وغودو لم يظهر

الصدى العبثي يبث المعاصي

من معصية القتل لمعصية الغطرسة

تجار البازارات يتراقصون على حبال العنصرية

تتأوه مريم تهز النخلة المتألمة

النمرود لا يأبه لعصا موسى

ولا الطفل الناطق

ولا عشائر المحبرة

في بلاد تكفر بدينها كما تلفظ الإنسان من أرحام السعير

تلك الحمير والبغال لتركبوها

وذاك ختم النفاق والمخترة

النوارس الدامية والنار تلتهم المعصرة

تتعمق الحفرة القرمزية

ودم الطريق النازف يلون المجرفة

فامرحي يا أرض بما يسطرون

القلم السوري في لهيب المجمرة

مليون كفن

لا وقت عندي للأمل
تدور الأفكار في رأسي مثل زهرة
لكن لا غزل
يخترق الحرف عندي المدى
يجرف الأفكار عن الزمن
لا تبكيني حبيبتي
فأمنا ..
سورية...
قد جهزت لنا الأكفان
وأعلم أن بحثك عني متعب
فلن تجدي مني سوى الرماد
إن سلم في قارورة طفلي منك
ربما ...
يعود للوطن

أيها الغافي على الورد

أيها المقطوع عن الله والفضيلة

وجسدك المسجى الحافي يعانق التراب

فاستراحت سُحُبُ الله إليك

تسكب عيناك في أقداحنا وطن

وتسقيك الكرمة السماوية ريح الصبا

قامتك قد علمتنا الكتاب

أيها المحمل بالماء على أكتاف النسل والحرث

ثمر العمر يشول السمر

لترتحل الفصول في دورانها

في حضرة الخشوع والدمعة المُسمَلة

ننتظر صباحاً لا تنزل في ساحته الأحزان

يا قناديل الوطن الغافي والمحطم

ففي عصر يوم جميل سآتي إليكم

يا عيونا ترانا ولا نراها

لأقرأ عليكم السلام

فسلام وألف سلام

يا سنابل الشام

يا أعز الرفاق

قد غابت عنا الكراسي الخشبية

وملأتها النفوس السوداء والصفراء

لِمَ أخلينا المكان وابتعدنا

فلا قيصر لنلاقيه

وهل للأشباح نصر

هل للمدن المحطمة نصر

تقرع أجراس السكون

على حقول الرجاء الفسيحة

هاروت يبتسم في الحكاية

الشمس بكر

الفجر بكر

لتجابه جيوش الغدر

تجمعوا تجمعوا من تحت كل حافر

ماتت الضمائر

والذاكرة سَمَك

وطني إمراة مُغوِية

لا تمنح إلا الأمراض

ماذا هناك ... قل لي

يا أعز الرفاق

ماذا هناك

حزينة عروق الأشجار وأوراق المرايا

والعندليب يعربد في ربيعه

زمن النار وأحلام القبور

في ثورة الموتى

تهمهم شموع الأقدار الخائبة

مرتمية على أثداء النساء المخمورات

التائهات في شوارع الزمن

المكلومات المقتادات لجحيم المسلخ البشري

أبحث عن نجمتي الوحيدة في أفق الرجاء

عصر الدموع والحريق

البكاء الصامت يا أنت

يعب الكؤوس يجترّ الغياب

ليسقط في محاجر المطر

البكاء الصامت يا أنت

يا عرائش النجوم الملتحفة

في افتراق التخوم

والخطو على أغصاننا المطبقة الشفاه

الغاصة بالتراب

يا من تدَّعي أنك تعلو الغيوم

يا من تدَّعي المفازات على التوجع

وقد غادرت واحة الهمسات

وهذه الأطياف الساقطة في محجريك

تتضرع أودية النسيان

الوطن غاب

الذاكرة غابت

وشمع السرير يهذي

رخامة المجهول

وقيء الظلام السائل يخربش الأبواب

يا أي حلم

يا واهن الخطوات

يا طائري الميمون

يا سيد البشائر

فكل الناس في هلع

وتقطعت أواصر الأنهار

يا من أعطيت ظهرك للشمس

أيها الواهم في الدعة والدفء

فسترتحل البيوت

وتهاجر الدنيا

وهذا الهلع الرابض في ظل عنفوان

فدروبي الهواء

ومنازلي الهواء

حتى ينهمر من دموعي الضياء

وأي ضياء

اسطنبول

2022

يا كُلَّ الناس الطيبين

وأنا أقتنص القصيدة

سأقص عليكم فرعا من شجراتي

كانت أوراق الخريف تحن للأرض كل عام في منزلي

وتتبلل أغصان المشمش والياسمين بالمطر

كانت تحتفي نباتات أمي بأيلول

وكان أبتي بعيداً بعيدْ خلف رمال الرياض

اعتدنا غربته وطيفه المرسوم في الكلمات

وأنا أكتب على دفاتري بأقلام الرصاص

وأملأ حقيبتي كتبا وريحان مدرستي

فأنا حكاية ثلاثة رجال (أنا وأبي وجدي)

ثلاثتنا طُردنا من أرضنا من البلاد

جدي الجولاني العتيد مات في ظلال الشام بلا جولان

وأبي المتغرب عقدين دفن جانبه بلا وطن

سهمان جرحا قلبي

وأنا اليوم في الغياب خارج الحدود

في بيتنا كانت شجرة ليمون
تثمر كل عام
"طار الخبز وبقي الجوع
غاب الحب وبقي الموت"
وعويل الوجع في وادينا السحيق
لم أر جدي حين ولدت
فهو في ذاكرتي مجرد صورة معلقة في صالون
وحكايات جدتي عنه
فهل من يموت مُغرّباً شهيد؟!
لماذا لم نعش حياتنا طبيعيين؟
لماذا لم نر نور الحياة الطبيعية؟
لماذا يسلخ جلدنا كل يوم غريب؟
يا أعزائي ... اسمعوا بقية الحكاية
مات جدي ...وبدأ أبي من الصفر
عمّرَ منزله حجراً حجر ... وبذراعه شق المعجزات
أوقد النور والأمل ليكمل الحكاية

وحين تعبت أنفاسه عانق التراب

لتنام مدينة أخرى وتغيب شمس حياة في ذاتي

لأبدأ أنا بين متعثر وناجح

بين متأخر ومتقدم

أصارع شخصياتي بين الأغلال المصفدة

حتى تدق ساعة الخلاص

إحدى عشر راية

تهمي الحشود وقد رفعت رايات السنا
وأنا من رفعت إحدى عشر راية
نبرح النار ونبرح الماء
الأرض توضأت
والشمس سجادة
وقد انفلق البحر يا قوم موسى
ولنكتب برياش العصافير
ضفائر الصبوة والغوى
تنتظر امرأة قناديل الدجى
وراية الشرف الحادية عشرة
تدق الساعة قبل الظهيرة
قبل منتصف النهار
وتدندن النوارس بهجة الميلاد
تتقدم أرواحهم في موكب الراحلين
وكانت الطائرات تغطي التلال

والقنابل دموع الأحزان

وأزيز الرصاص من خلف الجدران

دموع الأطفال ودماء الثكالى

والوحش أحكم يده على الزناد

هل أبوح بجمر العاشقين

أم أتلو سورة الوجع

أم أسكن سراً في غابة حالمة

حتى يعرق الليل خمراً من كروم الرجاء

يا صولجان العشق العظيم قل لي

أنستحقُّ الاحتماء بصدر حورية

على بحة الناي الحزين

ورحيق الفلوات وثمار الفصول

يا لهذا السُلّم البعيد

سُلّمُ الأسرار لتتشبث أظافره

بخصلة شعر يانعة

اسطنبول 13 أيلول 2022

الفهرس

16-عربتي النرجسية

17-غير آبِه

18-الحلم المنثور

19-لَن أُشفى

20-في جزيرة النّعاس

21-أنت ترى؟!...

22-القبر السوري

23-مليون كفن

24-أيها الغافي على الورد

25-يا أعز الرفاق

26-البكاء الصامت يا أنت

27-يا كل الناس الطيبين

28-إحدى عشر راية

محمد زعل السلوم في سطور :

- كاتب وصحفي ومترجم وشاعر سوري

- مواليد دمشق 1979

- عضو رابطة الكتاب السوريين في لندن ثم باريس

- عضو رابطة الصحفيين السوريين

- عضو بيت الإعلاميين العرب في اسطنبول

- عضو بيت اسطنبول الفرنسي بين عامي 2017-2021

- حاصل على جائزة كاوازاكي اليابانية (أشعار من أجل السلام) عام 2019.

- له رواية مطبوعة ورقياً "مشرد البوسفور" دار شرفات 2021 ، وعدد كبير من المجموعات النثرية والشعرية والنصوص والخواطر والمجموعات القصصية وخمس روايات أخرى.

- طبع ونشر عدد من الكتب السياسية منها وقالت الصفحات عام 2020 لدار الملتقى والحروب السورية وشؤون سورية وغيرها

- كما نشر إلكترونياً عدد من الكتب عن الجولان التي تعود أصوله إليها.

- ترجم العديد من النصوص الشعرية عن الفرنسية ونشر عدد من الكتب المترجمة.